الفصل التاسع

محمد مصطفى حلمي

والحياة الروحية في الإسلام

الفصل التاسع

محمد مصطفى حلمي
والحياة الروحية في الإسلام

أولاً: مكانته الفكرية

د. محمـد مصطفى حلمي (1904 - 1969م) واحـد من جيل الرواد في حقل الدراسـات الفلسـفية في مصر والعالم العربي على وجـه العموم وأحد أهم وأبـرز الذين تخصصوا في حقل الدراسـات الصوفيـة على وجه الخصوص. وقـد تمثلت ريادتـه الحقيقية في هذا المجال في أنه أول من كتب تاريخـه بالعربية بعد كتابات المستشرقين الكبيرين لويس ماسـينيون ورينولد نيكلسون. وكان واحدًا ممن تخرج على يديه أبرز المتخصصين في هذا الفرع الهام من فروع التراث الفلسفي الإسلامي.

ثانياً: حياته

ولد د. محمد مصطفى حلمي في الرابع عشر من أكتوبر عام 1904م بحي شـبرا وهو أحد أشهر أحياء القاهرة وكان أبوه الحاج مصطفى حلمي من ذوي الأملاك بشبرا ويدل على مكانته أن سـمي الشـارع الذي كان يسكن فيه باسـمه. تلقى تعليمه الأولى بمدارس شـبرا الابتدائية والثانويـة وقد حصل على شـهادة إتمام الدراسـة الثانوية في القسـم الأدبي عـام 1923م. ومنذ ذلـك التاريخ بدأت معاناته مع الحياة في ظل ظروف صعبة فرضتها عليه إصابته بمرض في عينه أصابـه بالعمى. ومع ذلـك فقد حرص كل الحرص على أن يواصل دراسـته الأكاديمية بالجامعة المصرية منذ إنشـائها عـام 1925م حيث تقدم بطلبه إلى أحمد لطفي السـيد الذي كان رئيسًـا للجامعة شـارحًا فيه حالته الصحية، طالبًا إلحاقه بقسم الدراسات الفلسفية بالجامعة وإعفائه

من الكشف الطبي. ولما عرض الطلب على مجلس كلية الآداب التي كان عميدها العلامة طه حسين الذي كان كفيفًا هو الآخر وعانى من نفس المرض، عارض بعض أعضاء المجلس ورفضوا الاستثناء، فأفحمهم طه حسين بقوله «افصلوا أولاً الذي في مثل ظروف هذا الطالب، ثم تحدثوا بعد ذلك في قبوله أو عدم قبوله لأنه يستطيع أو لا يستطيع أن يجتاز الكشف الطبي». وقد كانت هذه الكلمات من طه حسين وراء استثناء محمد مصطفى حلمي من الخضوع للكشف الطبي وقبوله طالبًا بقسم الدراسات الفلسفية بكلية الآداب ضمن سبعة طلاب فقط في هذه الدفعة وواصل دراسته الجامعية بنجاح حيث حصل على الليسانس في أكتوبر 1929م وتتلمذ أثناء دراسته على مجموعة كبيرة من أعظم الأساتذة الأجانب والعرب. فقد تتلمذ على لالاند وري واسرتيبه وروجيه وبوابيه من الأجانب، وعلى طه حسين ومصطفى عبدالرزق ومنصور فهمي من العرب، والتحق بالدراسات العليا في مايو 1932م وحصل على الماجستير بتقدير جيد تحت إشراف الفيلسوفين الفرنسيين اللذين كانا يدرسان بالجامعة المصرية أندريه لالاند وإميل بريبه، وكان موضوع رسالته «نظرية الجوهر عند ديكارت واسبينوزا» وكتبها حينئذ باللغة الفرنسية.

عين بعد ذلك معيدًا بنفس القسم والكلية عام 1937م، وفي ذات الوقت واصل دراساته العليا وسجل موضوع رسالته للدكتوراه تحت إشراف الدكتور مصطفى عبدالرازق بعنوان «ابن الفارض والحب الإلهي»، وحصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف في باريس 1940م عين بعدها في وظيفة مدرس (ب) عام 1941م، ثم رقي إلى مدرس (أ) عام 1946م ثم إلى درجة أستاذ مساعد في شهر يوليو 1948م. وتقدم للترقية إلى أستاذ كرسي الفلسفة عام 1954م وبدأ حينئذ فصلاً جديدًا من فصول معاناته حيث تقدم معه لشغل نفس الوظيفة د. عثمان أمين ووافقت اللجنة العلمية التي شكلت لفحص إنتاجهما عن استحقاقهما معًا لشغل الوظيفة، ووافق مجلس الكلية على ترشيحهما معًا لشغل نفس الدرجة ولما كان هذا غير ممكن نظرًا لأن الدرجة المعلن عنها درجة واحدة فقط ظلم د. محمد مصطفى حلمي نظرًا لأقدميته ولحصوله على الماجستير والدكتوراه قبل د. عثمان لكن الأمر كان قد رفع إلى الجامعة على أن يشغل د. عثمان أمين الوظيفة المعلن عنها على أن ينظر بعد ذلك في تدبير درجة للدكتور محمد مصطفى حلمي. ولما تم تدبير هذه الدرجة أعلن عنها ولفترة محدودة داخليًا ولم ير الإعلان

نظـرًا لظروفه الصحية ولم يبلغه به أحد فتقدم لشـغل الوظيفة غيره وشـغلها. ومن مصادفات القدر أنه تقدم مرة أخرى عام 1964م لشـغل درجة جديدة للأسـتاذية وبعد أن قررت اللجنة ترشيحه لهاووافق مجلس القسـم ومجلـس الكلية أفـادت الجامعة بإرجاء النظـر حتى اعتماد الميزانية الجديدة. ولما تم اعتماد الميزانية الجديدة كان قد بلغ سن الستين وأحيل إلى المعاش في الرابع عشر من أكتوبر 1964م مما ترتب عليه عدم حصوله على درجة الأستاذية التي كان بلا شـك يستحقها عن جدارة. فاللجان العلمية قد أقرت باسـتحقاقه لهذه الدرجة العلمية الرفيعة أكثر من مرة لكن تصاريف القدر وظلم بعض الزملاء قد حالا دون ذلك. ولم ينفع مع هذا أو ذاك شكاوى عديدة كتبها وقضايا قانونية رفعها ضد الكلية والجامعة لتجاوزه وترقية غيره.

ومع كل هذه الظروف فإن محمد مصطفى حلمي قد واصل رسـالته الأكاديمية والتعليمية عـلى خير وجه وشـهد له تلاميـذه وأصدقاءه بالتفـاني في عمله والدقة في ممارسـة مهام وظيفته سـواء في التدريس أو في الإشراف على العديد من الرسـائل العلميـة التي جعلت من أصحابها شـخصيات مرموقة في المجتمع وشـغلوا بمقتضاها مراكز عليا في المجتمـع. وتوزع تلاميذه في معظـم الجامعات المصرية؛ فبالإضافة إلى عمله الأصلي في جامعة القاهرة درس في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وفي كلية البنات بجامعة عين شـمس. وفي معهد الدراسـات الإسلامية وهو معهد للدراسـات العليا بالقاهرة وفي كلية الآداب بجامعة الإسـكندرية. كما اشـترك في تقييـم امتحانات جامعة القاهرة - فـرع الخرطوم. وربما يكون قـد درس بجامعة الأردن التي رشح للعمل بها عام 1964م.

ولم تخلو حياة محمد مصطفى حلمي العلمية من الاشتراك بمقالاته ومداخلاته الفكرية في كثير من الدوريات والمجلات الثقافية الشـهيرة في زمانه فكتب العديد من الأبحاث في المجلة العلمية بكلية الآداب، والمجلة العلمية لمعهد الدراسـات الإسـلامية ومجلـة علم النفس ومجلة تراث الإنسانية ومجلة منبر الإسلام، ومجلة الفكر المعاصر. كما كتب نحو سبعين مادة في دائرة المعارف الإسـلامية التي كانت تعدها آنذاك مؤسسـة فرانكلين بالقاهـرة. نشر ثلاثة أبحاث بمجلة عالم الروح. كما اشترك في أعمال لجان مجمع فؤاد الأول للغة العربية لعدة سنوات. لقد عـاش إذن حياته العلمية مؤديًا واجبه كأفضل ما يكون رغم ظروف فقده نعمة البصر، وأدى كل أعمالـه بإتقـان فكان قادرًا على تحصيل العلم ونشره بين العامة والخاصة كما لو لم تكن قد

وقع له محنة أو حل به حرمان. وقد توفى في السادس من فبراير عام 1969م وكان لوفاته أثرها المحزن على كل من عرفه وخاصة من المشتغلين بالفكر الإسلامي والدراسات الصوفية.

ثالثًا: آثاره العلمية (مؤلفات ومترجمات وتحقيقات ومراجعات):

تنوع إنتاج محمد مصطفى حلمي العلمي رغم تلك الظروف التي حلت به، وتوزع بين التأليف والترجمة والتحقيق ومراجعة ترجمات الآخرين وكتابة مقدمات لمؤلفاتهم. أما أبرز ما تركه من مؤلفات فكان:

1) الحياة الروحية في الإسلام:

وهو أول مؤلف يكتب باللغة العربية في تاريخ التصوف الإسلامي يمتاز بالأصالة والابتكار. وقد جاء في 164 صفحة ونشر ضمن مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية عام 1945م. وقد بدأ بالحديث عن الزهد والتصوف كمرآة للحياة الروحية في الإسلام ثم تحدث عن بداية هذه الحياة الروحية في الإسلام من خلال الحديث عن محمد ﷺ في الجاهلية وعن حياته النفسية والروحية وأحواله وأقواله في ظل الإسلام وبعد إعلان الدعوة ثم من خلال الحديث عن الصحابة وأقوالهم.

وعلى هذا الأساس كشف مؤلفنا عن مصدر الحياة الروحية في الإسلام واعتبر أن مصدرها الرئيسي هو المصدر الإسلامي وناقش ونقد النظريات الأخرى التي ترد ظهور التصوف في الإسلام إلى مصادر هندية أو فارسية أو نصرانية أو يونانية معتبرًا أن وجود تشابه هنا أو هناك بين مظاهر الزهد والتصوف لدى المسلمين ولدى أبناء تلك الأمم لا يعد دليلاً على أن التصوف الإسلامي ولد أو ظهر متأثرًا بما لدى هذه الأمم فالتجربة الإيمانية واحدة وقد تتشابه في نتائجها رغم تباين وتنوع أسبابها.

انتقل بعد ذلك إلى دراسة زهاد القرنين الأولين للهجرة وبيّن الخصائص الروحية لهؤلاء الزهاد وخص بحديثه الحسن البصري الذي يتميز زهده بالخوف من الله ورابعة العدوية التي تميز زهدها بالحب الشديد لله. ثم تحدث بعد ذلك عن التصوف والصوفية موضحًا كلمة صوفي وأصلها وبين بعد ذلك خصائص التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين وعن بعض

أعلامه كذي النون المصري وأبو يزيد البسطامي ويحيى بن معاذ الرازي وأبو القاسم الجنيد وأبو صالح حمون القصار النيسابوري وغيرهم. ثم انتقل للحديث عن الصراع بين الفقهاء والصوفية وخص بالحديث في هذا الإطار الحسين بن منصور الحلاج موضحًا مذهبه الصوفي. ثم انتقل للحديث عن التصوف في القرن الخامس وخاصة عند أكبر المتصوفة السنيين أبي حامد الغزالي.

وتحدث بعد ذلك عن خصائص التصوف وموضوعاته في القرنين السادس والسابع الهجريين وخص بالحديث من أعلام هذين القرنين السهروردي المقتول ومحي الدين بن عربي وعمر بن الفارض وعبدالحق بن سبعين. وانتهى الكتاب بحديث مقتضب عن التصوف بعد القرن السابع حيث عده مجرد شروح وملخصات أدت إلى التدهور بعد الازدهار الذي شهده التصوف في القرون السابقة.

2) ابن الفارض والحب الإلهي:

وهو موضوع رسالته للدكتوراه التي بلغت في نشره دار المعارف 427 صفحة من القطع الكبير. وهي الدراسة الأولى من نوعها في اللغة العربية على حد تعبير الشيخ مصطفى عبدالرازق في تقديمه لها (ص 8). وقد تناولت عبر ثلاثة أبواب أو كتب على حد تعبير صاحبها دراسة الحب الإلهي عند ابن الفارض؛ غطى الأول منها صورة عن ابن الفارض وتصوفه متناولاً سيرته وحياته الصوفية وآثاره، وفي الثاني تناول بالدراسة أطوار الحب الإلهي عند ابن الفارض بعد أن ميز بين الحب الإنساني والحب الإلهي، وفي الثالث وضح المنازع الفلسفية في حب ابن الفارض الإلهي فميز بين الأذواق الصوفية والمذاهب الفلسفية ودرس العلاقة بين الحب والمعرفة والحب والوحدة وقدم في هذا الصدد مقارنات دقيقة وواسعة بين مفاهيم وتصورات ابن الفارض في التصوف عامة وفي الحب الإلهي خاصة وبين تصورات كلاً من جلال الدين الرومي وابن عربي والحلاج. كما قارن بين الفيض الأفلوطيني وبين رؤية ابن عربي وابن الفارض، كما تحدث بعد ذلك عن رؤية ابن الفارض للحب ووحدة الأديان. وقد اعتمد في هذه الدراسة على حوالي 125 مرجعًا في اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية.

3) **ابن الفارض - سلطان العاشقين:**

وهو كتاب في تاريخ حياة ابن الفارض وتصوفه وشعره وقد جاء في حوالي 254 صفحة. وتميز عن رسالته التي كان قد أعدها لنيل درجة الدكتوراه عن عمر ابن الفارض والحب الإلهي بأنه جاء ككتاب عام عن ابن الفارض عرض فيه لحياة ذلك الصوفي الكبير وأوضح ظروف عصره وشعره ورياضاته ومجاهداته وأذواقه، كما قارن بينه وبين متصوفة وعلماء وشعراء عصره وقد تناول كل ذلك عبر ثلاثة أقسام؛ درس في القسم الأول ابن الفارض وعصره في عشرة فصول متتالية، ودرس في الفصل الثاني ابن الفارض الصوفي عبر خمسة فصول تحدث فيها عن حياته الروحية ورياضاته ومجاهداته وكراماته ومناماته وأحلامه وأذواقه ومواجيده، ودرس في الثالث ابن الفارض الشاعر من خلال ديوانه الشهير وتحليل قصائده وبيان خصائص شعره الصوفي.

4) **الحب الإلهي في التصوف الإسلامي:**

نشر بالقاهرة في سلسلة المكتبة الثقافية (رقم 24) عام 1960م جاء في 137 صفحة من القطع الصغير. وقد تناول فيه بأسلوب سلس ممتع التراث الروحي الذي تزخر به مؤلفات الصوفية المسلمين ودرس أساليبهم في الحب الإلهي وكشف عن رموزهم الشعرية الغزلية والخمرية. كما ناقش آراء بعض المستشرقين الذين تعرضوا لهذا الموضوع.

وقد ذكر له كتابين آخرين لم نعثر عليهما أو على مضمونهما، هما:

5) **التمهيد لدراسة الفلسفة الشرقية:**

وقد ذكر أنه طبع طبعتين متواليتين في عامي 1937 - 1938م. ويبدو أنه كان عبارة عن محاضرات ألقاها بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر في الفلسفةالعامة والفلسفة الشرقية كماجاء بهامش ص34 من كتابه «الحياة الروحية في الإسلام».

6) **بين الفلسفة والعلم:**

وقد جاء ذكر هذا الكتاب في ملف خدمة د. محمد مصطفى حلمي على أنه نشر عام 1940م بالقاهرة. وأشار د. التفتازاني إلى أنه طبع قبل ذلك عام 1936م.

ولمؤلفنا عدة أبحاث هامة نشرت بالمجلات العلمية منها:

1) **بحث عن «كتاب الحب والحكمة الإلهيان لسويد نبورج»:**

نشر بمجلة «تراث الإنسانية» التي كانت تعني بعرض أهم المؤلفات لمشاهير الفلاسفة والعلماء والباحثين. وقد نشر بعدد توفير 1963م. وتضمن عرضًا لهذا الكتاب الهام لأول مرة باللغة العربية وجاء العرض مشتملاً على مقارنات عديدة بين آراء سويدنبورج وآراء غيره من الثيوصوفيين.

2) **بحث عن «الخصائص الأخلاقية للرياضيات والأذواق الصوفية»:**

نشر هذا البحث بمجلة معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة عام 1958م وجاء في حوالي ثلاثين صفحة من القطع الكبير ركز فيه على شرح الجوانب الخلفية من الحياة الصوفية. ومن ثم عرض للتصوف الإسلامي من حيث هو علم وعمل تتسق فيه الأقوال مع الأفعال، والتصورات مع السوك.

3) **بحث عن «ذي النون المصري»:**

وهو مقال نشر تعليقًا على مادة «ذي النون» بدائرة المعارف الإسلامية عام 1953م ويقع في حوالي عشرين صفحة تحدث فيه عن تاريخ حياة هذا الصوفي الكبير وعن عصره ومن عاصروه وأثر فيه من أعلام الصوفية والفقهاء والمحدثين.

4) **بحث عن «الخصائص النفسية للرياضات والأذواق الصوفية»:**

وهو يتكامل مع بحثه الآخر السابق الإشارة إليه عن الخصائص الأخلاقية للرياضات والأذواق الصوفية، وقد نشر هذا البحث في مجلة علم النفس عدد فبراير 1951م وجاء في حوالي خمسة عشرة صفحة. وهو عبارة عن تحليل سيكولوجي للجانب العلمي من حياة الصوفية، ووصف لكيفية الترقي النفسي في سلم المقامات والأحوال الصوفية. وهو بحث يؤسس بالتالي لعلم النفس الصوفي إن جاز التعبير.

5) **بحث عن «حكيم الإشراق وحياته الروحية»:**

وقد نشره في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة في عدد ديسمبر 1950م وجاء في حوالي اثنين

وثلاثين صفحة. وهو عبارة عن ترجمة دقيقة لحياة السهروردي اعتمد فيه على مختلف المصادر التي تحدثت عن حياة هذا الصوفي الكبير.

6) بحث عن «آثار السهروردي المقتول - تصنيفها وخصائصها الصوفية والفلسفية»:

وهو بحث يستكمل فيه دراسته السابقة عن السهروردي. وقد نشر بنفس المجلة في عدد مايو 1951م وجاء في أربعة وثلاثية صفحة تحدث فيها عن مصنفات السهروردي وقارن بين التصنيفات المختلفة لهذه المصنفات وأوضح خصائصها الصوفية والفلسفية استنادًا إلى ما قالته المصادر القديمة وآراء المؤرخين المحدثين. وقد ذكر له أيضًا ثلاث أبحاث أخرى عن ابن سينا وهي السعادة الإنسانية عند ابن سينا والشيعة والعشق عند ابن سينا.

أما في ميدان التحقيق لأمهات الكتب في التراث الصوفي، فكان له:

1) تحقيق كتاب: «رحالة العقل للداعية أحمد حميد الدين الكرماني»:

وقد حققه بالاشتراك مع د. محمد كامل حسين عام 1952م. وجاء التحقيق في 348 صفحة. وقد قدما للتحقيق بمقدمة حللا فيها محتويات الكتاب، وأوضحا كيف تبين لهما فيه المزج بين التعاليم الإسماعيلية والأفكار الفلسفية والكلامية. ومدى التشابه بين آراء المؤلف وبين آراء ابن سينا.

2) تحقيق كتاب: «توفيق التطبيق في إثبات أن الشيخ الرئيس من الأمامية الاثنى عشرية»، تأليف على بن فضل الله الجبلاني:

وقد جاء الكتاب في 244 صفحة ونشر عام 1954م. وبذل فيه محمد مصطفى حلمي جهدًا فائقًا حيث بلغت تعليقاته على متن الكتاب حوالي 130 صفحة ما قدم للتحقيق بمقدمة كبيرة وصلت إلى ست وعشرين صفحة. وقد عني في مقدمته وتعليقاته بمحاولة إثبات أن ابن سينا لم يكن كما يقول المؤلف إماميًا أو اثنى عشريًا.

3) تحقيق كتاب: «المغني في أبواب التوحيد للقاضي عبدالجبار المعتزلي»:

وهو الجزء الرابع في الرؤية وقد حققه وعلق عليه بالاشتراك مع تلميذه أبو الوفا التفتازاني وراجعه د. مدكور، ونشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر عام 1965م.

أما في ميدان الترجمة فقد قام بترجمة العديد من المواد ضمن النشرة العربية لدائرة المعارف الإسلامية وكان أهمها: مواد ذو النون المصري وشاطريه وشطح وشيحه والشيرازي. كما راجع العديد من الكتب المترجمة نذكر منها الفكر العربي ومكانه في التاريخ لديلاس أوليري، ومشكلات ما بعد الطبيعة تأليف بول جانيه وجبريل سياي، وفلسفة اليوجا تأليف يوجي راماجاشاركا والعلم والديموقراطية والإسلام تأليف همايون كبير ومقال عن المنهج لرينيه ديكارت. ولم تكن هذه المراجعات تتم دون جهد جهيد من جانبه، ولنذكر على سبيل المثال أنه قد قدم لترجمة محمود الخضيري لكتاب ديكارت المقال عن المنهج بمقدمة مطولة غطت تاريخ الفلسفة منذ الفلسفات الشرقية السابقة على الفلسفة اليونانية وحتى الفلسفة الحديثة ليوضح مكانة ديكارت وأهمية كتابه في تاريخ الفكر الفلسفي عامة، والفلسفة الغربية الحديثة على وجه الخصوص وقد جاءت هذه المقدمة في أكثر من سبعين صفحة كاملة.

رابعاً: آراؤه الفلسفية

لقد كان محمد مصطفى حلمي بلا شك واحدًا من أبرز رواد المدرسة الإسلامية الحديثة التي أسسها الشيخ مصطفى عبدالرازق؛ فقد كان مفكرنا يعتبره المثل الأعلى للإنسان الكامل والإنسانية الصافية المدركة للحق والخير والجمال، كما كان يعتبره رائد هذه المدرسة الإسلامية الحديثة بما شملته مؤلفاته وخاصة تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية من منهج أصيل في دراسة الفلسفة الإسلامية نجح من خلاله في التوصل إلى تلك النتيجة الرائعة وهي «أن للفلسفة الإسلامية جدتها وطرافتها بعيدًا عن المؤثرات الأجنبية من يونانية وغير يونانية». (مجلة الفكر المعاصر، يونيه 1965م، ص89).

وعلى هذا المنهج ولتحقيق نفس النتائج وتعميقها سار مفكرنا في كتابه الأشهر «الحياة الروحية في الإسلام»؛ فقد نجح إلى حد بعيد في تأكيد الأصول الإسلامية النقية للتصوف الإسلامي ولحياة المسلمين الروحية، حيث أكد أن نشأة هذه الحياة الروحية نشأت أول ما نشأت في الإسلام من التقشف والورع والتعبد والزهد والتقوى وغير ذلك من مظاهر الانصراف عن الدنيا والإقبال على الدين مما كان عامًا شائعًا بين المسلمين في حياتهم الأولى وهي هذه الحياة التي كان فيها النبي وأصحابه مثلاً عليا يتأثر بها المسلمين في القول والفعل» (ص7).

لقد أجمل محمد مصطفى حلمي في هذه العبارة رأيه في أصل التصوف الإسلامي الذي هو في نظره ما يمثل الحياة الروحية الحقة في الإسلام. وقد فصل هذا الرأي بعد ذلك فأوضح كيف أن بداية هذه الحياة الروحية في الإسلام تعود إلى حياة نبي الإسلام قبل حمل عبء الدعوة الإسلامية وبعد إعلانها؛ فإن تعبد محمد في غار حراء إنما هو البذرة الأولى التي نبت منها زهد الزهاد وعبادة العباد وتصوف الصوفية» (ص12). ولو أن قائلاً قال بأن هذه الحياة الروحية لمحمد قبل الدعوة الإسلامية تعد أصلاً جاهليًا وليس إسلاميًا! لرد مفكرنا بقوله «إننا واجدون في حياة محمد النبي الذي تحققت نبوته وتمت رسالته عنصرًا نفسيًا يصح أن نتخذ منه أساسًا لأذواق الصوفية ومصدرًا أول لمواجيدهم» (ص15). وروى من أحواله وأقواله ما يثبت ذلك. وروى من حياة الصحابة وأقوالهم التي كانت في مجملها تأسيًا بحياة النبي وأحواله وأقواله ما يؤكد ذلك. ثم كشف عن المصدر الأساسي لهذا: إنه القرآن الكريم. لقد أوضح لنا أن الصوفية المسلمين أنفسهم سواء منهم أصحاب الأذواق والمذاهب أو كتاب الطبقات هم أول من أكد أن المصدر بصائرهم من أنوار الحقيقة في المشاهدة إنما هو أثر من آثار ما أثر عن النبي من زهد ونسك وتعبد، ومن بعض آيات القرآن الكريم ومن عبارات بعض الأحاديث القدسية الشهيرة. (ص26 - 31).

ولم يكتف مفكرنا بهذا البيان الإيجابي لرأيه في أصالة التصوف والحياة الروحية الإسلامية، وإنما ناقش ادعاءات أصحاب النظريات المعارضة ممن يقولون بالمصدر الهندي أو الفارسي أو النصراني أو اليوناني وبين أوجه قصورها ورفضها وكشف عن رأيه النهائي في هذا الموضوع بعبارة تفيض قوة وأصالة حيث قال «أنه يمكن أن يقال إن التصوف من حيث هو رياضة للنفس الإنسانية التي هي حظ مشترك بين أفراد الإنسان جميعًا، يصح أن تنتهي عند المعتنقين لدين من الأديان إلى عين النتائج التي ينتهي إليها عند المعتنقين لدين نخر من هذه الأديان، وذلك لأن وسائل التصفية وطرق التهذيب التي يصطنعها أولئك وهؤلاء واحدة هي الأخرى، فإذا كان ذلك كذلك وكانت النفس الإنسانية هي النفس الإنسانية في كل زمان وكل مكان فما الذي يمنع إذًا من أن يكون التصوف الذي ظهر في الإسلام هو بعينه الذي أخذ صورًا متعددة في الديانات الهندية والفارسية والنصرانية وفي الفلسفة اليونانية؟! وما الذي يمنع أيضًا من أن يكون التصوف الإسلامي قد نشأ بعيدًا عن كل المؤثرات الدينية والفلسفية الأجنبية. وأن

يكون هذا التشابه الملحوظ بينه وبين دين البراهمية والمانوية والنصرانية والأفلاطونية الجديدة أتيا من أن زهاد المسلمين وصوفيتهم قد أخضعوا أنفسهم لطائفة من القواعد والأحكام التي تقرب كثيرًا أو قليلاً من تلك التي أخضع لها نساك البراهمية وزهاد المانوية ورهبان النصرانية وفلاسفة الأفلاطونية الجديدة أنفسهم؟!». (ص64).

وعلى هذا النحو من إشراق البيان ودقة العبارة وقوة الحجة كانت آراء محمد مصطفى حلمي في تاريخ الفلسفة عامة، وفي الفلسفة الإسلامية والتصوف الإسلامي على وجه الخصوص في مختلفة مؤلفاته وبحوثه ومقالاته التي - سدت على حد تعبير صديقه على سامي النشار - فجوة كبيرة في تاريخ الفلسفة الإسلامية موضحة الجانب الأصيل فيها. (نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج1، ص24).

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ملف خدمة د. محمد مصطفى حلمي بالجامعة المصرية، أرشيف كلية الآداب، جامعة القاهرة.

محمد مصطفى حلمي:

- الحياة الروحية في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 19445م.
- ابن الفارض - سلطان العاشقين، سلسلة أعلام العرب (15)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، بدون تاريخ.
- مصطفى عبدالرازق - رائد المدرسة الإسلامية الحديثة، مجلة الفكر المعاصر، العدد الرابع، يونيو 1965م.
- ابن الفارض والحب الإلهي، تقديم الشيخ مصطفى عبدالرازق، طبعة دار المعارف بمصر، القاهرة 1971م.
- تقديم الترجمة العربية لكتاب «مقال عن المنهج» للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت والتي قام بها محمود الخضيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة 1985م.
- (محقق): توفيق التطبيق في إثبات أن الشيخ الرئيس من الإمامية الاثنى عشرية، تأليف على بن فضل الجيلاني، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى 1954م.

ثانيا: المراجع

أبو الوفا الغنيمي التفتازاني:

- محمد مصطفى حلمي ودراسات التصوف الإسلامي، مقال بمجلة الفكر

المعاصر، العدد 52، القاهرة يونيه 1969م، وأعيد نشره بمجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الرابع، عدد خاص عن د. التفتازاني، يناير 1996م.

على سامي النشار:

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الجزء الأول، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، القاهرة 1981م.